318



دائرة الثقافة والإعلام . الشارقة



جائزة الشارقة للإبداع العربي

الإصدار الأول | الدورة 17 | 2013

وشاية الليلك

مجموعة قصصية

فارس البيل

89
B

وشـــاية الليـلك

مجموعة قصصية

فارس توفيق البيل

وشاية الليلك

مجموعة قصصية

إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة 2014 م

الناشر: دائرة الثقافة والإعلام ــ حكومة الشارقة ــ دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 5123333 9716+
بـرّاق: 5123303 9716+
بريد إليكتروني: sdci@sdci.gov.ae

© حقوق النشر والطبع محفوظة
الطبعة الأولى 2014

صورة وتصميم الغلاف: ضياءالدين الدوش

811.9532
فارس توفيق محمد البيل
وشاية الليلك : قصص قصيرة / فارس توفيق محمد البيل. ــ الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : دائرة الثقافة والإعلام، 2014.
78 ص. ؛ 24 سم. (منشورات جائزة الشارقة للإبداع العربي، في مجال القصة القصيرة)
فاز بالمركز الثالث لجائزة الشارقة للإبداع العربي في مجال القصة القصيرة، الدورة 17، 2013.
9789948020035
1 ــ القصص العربية القصيرة ــ اليمن
أ. جائزة الشارقة للإبداع العربي (17 : 2013 : الشارقة، الإمارات العربية المتحدة)

وراء البريق..

«عز القبيلي بلاده.. ولو تجرع وباها»

الحكيم الشعبي علي ولد زايد[1]

تلهو الريح الناعمة على أطراف الحقول.. الحقول الملبدة باخضرار زاهٍ.. عند بطنها ينثّ النبع بسخاء.. حيث تتجمع نسوة بثيابهن الغليظة المرقشة بذات الزهور والمكعبات، وأوانٍ عتيدة يحملنها مملوءة عن آخرها على رؤوسهن، ولا يفقدن قطرة منها طوال الطريق الصاعد والمتعرج إلى الديار، رغم مشاكسات الكلاب وتقاطعات الأشجار.. يحلو للطير في هذا الصفاء أن يمارس عشقه الأزلي بجوار الإنسان الفقير من كل شيء سوى الرضى والضحكة النقية..

في القرية المعلقة بين جبال عديدة.. تخلو البيوت من الرجال

1- علي ولد زايد: أشهر حكماء اليمن الشعبيين، عاش في فترة ماضية مجهولة، تدور حِكَمه وأقواله على ألسنة الناس، لا سيما في القرى والبوادي، ويُعرف بلقب (حكيم اليمن).

والنســاء منذ أن تفرك الشــمس قمــم الروابي.. جميعهــم يتجهون إلى الحقول الصغيرة.. بالكاد تمنحهم حصة غذاء لأيامهم الهادئة توائم بين الجوع والشبع.

في المســاء يلتقي رجال القرية عند أبي صالح في مجلســه الواسع بفراشــه المهترئ، يقولون ذات الحديث كل يوم، ويسألون بعضهم عن أحوال بعض وهم في مرأى بعضهم كل حين..

النساء يقضين مساءهن بالعناية بالمواشي والأبقار وإطعامها.. وما إن تنفضّ صلاة العشاء حتى يعود الجميع من مسجد القرية الوحيد إلى بيوتهم لتناول عشــاء جافٍ معتــادٍ، ثم يغطون في نوم عميق لا يزلزله ســوى صياح الديكــة من قبل الفجــر.. لتبدأ عجلة الحركــة في القرية بالدوران النشط الذي لا ينتج شيئاً سوى الزمن!

يفارق مجلس أبي صالح كثيراً بعض شبان القرية الذين نشؤوا على أخبــار التطور والتقانة والتقــدم الصناعي الذي يغزو العالم ولا يقترب بتاتــاً مــن هذه القرية، في حيــن أنها لا تبعد عن أقــرب مدينة صغيرة سوى بضعة كيلومترات.

واحدهم (فالح) الذي لا يكفّ عن إبداء تذمّره من حياة القرية وقساوة عيشــها رغم رطوبة الجو الدائم فيها.. يظل يتابع أخبار من رحلوا من قريتــه أو القرى المجاورة، ويتتبع سِــيرهم وما حققــوه في مرتحلهم، ورغم ما تصله من أخبار متناقضة، إلا أنه يحلم باليوم الذي يكون فيه واقفاً على الصخرة الملساء عند مدخل القرية وهو يلقي نظرته الأخيرة على منازلها مودعاً.

ســمع فالــح عن عودة رجل من غربته في قريــة مجاورة، قرر ألا

يهطل المغيب إلا وهو في مجلسه ليرشده إلى طريق الاغتراب.

كان العائد لايزال فرحاً بأهله ولم يشأ أن يكر عليه أحد أوجاع الغربة التي تخلص منها للتو، أصرّ فالح على أن يأخذ من العائد أية معلومات يمكن أن تساعده على الرحيل، بامتعاض رد العائد على فالح بأبيات علي ولد زايد: «إن كنت هارب من الموت ماحد من الموت ناجي.. وإن كنت هارب من الفقر أهرب سحول ابن ناجي».

لم يعرْ فالح هذا القول انتباهاً، وظلت عيناه تجولان في القميص الفاره للعائد بأزراره الثمينة، والسيجارة الفاخرة التي يمجّها بغبطه.

كان صوت المسجل المرتفع يدوي بأرجاء السيارة المسرعة باتجاه المطار، يصدح منه غناء أبوبكر سالم بلفقيه «يا مروح بلادك.... عادنا الا انطربنا والتلاحين طابت»، فيما كان فالح يطاول نافذة السيارة محدقاً في الأفق الغائم.

تنقل فالح بين كثير من الأعمال الشاقة والمهن المختلفة في الدولة الغنية، ومارس الكثير من الغوايات، لم يكن يقف على شيء من المال الذي يتقاضاه بعد جهدٍ إلا وبدّده في مصروفات الحياة الضرورية في مغتربه.

تعرف إلى الحياة الجديدة هنا والتطور الناهض بخفّة، لكن حياته الشخصية لم تكن أحسن حالاً من مستوى معيشته في قريته.. السكن الذي يرتاده مع مجموعة كبيرة من العمال من بلده وبلدان أخرى أشبه بسجن قديم مفتوح.. والأعمال التي يقوم بها تأخذ نهاره كله ولا يعود مساءً إلا جثة هامدة..

مرت أربع سنوات منذ قدوم فالح إلى بلد الغربة وهو على هذه الحال، انقطع خلالها عن أخبار قريته وأهلها باستثناء الشهور الأولى حين كان يرخي سمعه للأخبار المهمة القادمة من هناك مثل الموت والزواج فقط.. حتى تناسى كل شيء فيها، وبات يدغم كلامه بلهجة هذا البلد، ويحاول أن يتأنق بزي أهلها دون إجادةٍ واضحةٍ.

دوّن توقيعه بمهارة في قلب «شيك» لامع.. ودفع به لأحدهم نظير صفقة تجارية كبيرة عُقدت للتوّ بينهما.. عليه الآن أن يركب سيارته الفارهة بسرعة باتجاه أحد الفنادق الفخمة بالمدينة ليلتحق بمجموعة من رجال الأعمال في حفل عشاء فاخر؛ بمناسبة عودة أحدهم من رحلة الحج السنوية المعتادة..

مرت تسع سنوات على افتتاح هذا الفندق الفخم.. في الأشهر الأخيرة قبل الافتتاح كان فالح يعمل في طلاء واجهته الخارجية، وهو الآن يملك أسهماً فيه، والعشاء الليلة مقام على نفقته.

تقلب فالح في العوز والنعيم، وتنقل من حال لحال.. هو الآن تاجر مغامر، وقته مشحون وأنفاسه متلاحقة، يشعر في قرارة نفسه بالارتياح لما حققه من ثراء رغم كل الصعوبات والخسائر التي تعاورته، إلا أنه لا يشعر بها، سوى خسارة واحدة لا يعلم كنهها تظل تومض في نفسه.

لم يكن فالح على علم بتغيرات قريته على مستوى الناس، فالبعض منهم وافته المنية أو غادر أو انقطعت أخباره، وبعضهم لايزال على هيئته في مجلس أبي صالح يلوك ذات الحديث.

رغم التسهيلات الكبيرة التي حصل عليها فالح في أعماله التي نقلته

لمصاف رجال الأعمال، إلا أن تحايله على بعض قوانين البلد وجمود بعضها أدخلته في دوامات من القضايا والمشاكل التي أخذت تنخر في رأسه كل لحظة، وتنسلُّ بجهده وماله.

هو الآن يسكن قصراً فارهاً، ويحظى بمكانة وثراء يجعل رغباته ماثلة بين يديه في الحال.

في البهو الواسع بمنزله استلقى من لحظته على «كنبة» وثيرة، وألقى برأسه على جانبها بعد يوم حافل بالمواعيد والموائد، تناول بيده «الريموت» الخاص بالشاشة العملاقة أمامه وأخذ يضغط الأزرار؛ عيناه إلى الشاشة وعقله يدور في ماله والتوسعات القادمة في أعماله.. كانت بعض مناظر قريته تمر في أحد البرامج الشعبية على قناته الوطنية التي ظهرت من غير قصد منه، وتفكيره منصرف إلى شؤونه، للحظةٍ خطفته صورة النبع في القرية وشدّته إلى عرض التلفزيون، نسي ما كان يفكر فيه، واستغرق في المتابعة.. لايزال النبع كما هو مذ شاهده آخر مرة يتدفق بالماء الزلال وحوله العطن.

لم يفترّ فجر تلك الليلة عن ضوئه؛ إلا ووقع أقدام فالح تسابق أهل قريته إلى حقولهم، ترك وراءه قضاياه المالية وخمس عشرة سنة، والآن سيصلح ما أمكن بما تبقى له من مال يسير من شؤون القرية، وسينضم إلى مجلس أبي صالح من هذا المساء بحديث يأمل أن يكون جديداً ونافعاً.

***

تحت المطر

«يوجد في الجزء الذي نعرفه من الكون الكثير من الظلم،
وغالباً ما يعاني الطيبون، وغالباً ما ينجح الأشرار»

برتراند راسل

انهمر المطر بغزارة.. لم يتمكن الرجل النحيل من الوصول إلى بيته تحت وطأة البَرد والعواصف الشديدة.. عليه أن يجد له مكاناً يقيه كثافة المطر، ويحمي حماره الذي يجرّ عربة الخضار من أن يصاب بمكروه..

بجواره الآن مبنىً كبيرٌ.. قفز إلى مدخله وجعل عربته أسفل سقيفة منمّقة تستظل تحتها سيارات فارهة.. لا يدري إن كان هذا التصرف منه سيؤذي أصحاب المبنى الفخم.. تسلّل بخجل إلى بهو المبنى من دون أن يمنعه أحد؛ ليسأل إن كان بإمكانه البقاء حتى يتوقف المطر في الخارج..

بجوار نافورة أنيقة ترتفع وسط مساحة واسعة من المدخل، المزدحم بالمقاعد المتنوعة وأواني الزهر والتحف الكبيرة، يتصاعد

دخـــان خفيــف.. تقدّم الرجل النحيــل باتجاه الدخـــان وثيابه تقطر على الأرض الملساء ماءً مُغبراً..

لمع جبيــن الرجل الجالس على الأريكة وهو يســتدير بوجهه نحو الرجل الواقف فجأة أمامه..

– أووه.. حســن.. إذاً أنت حســن.. يااااه.. كم مرت علينا سنون منذ أن كنا نتلقى تعليمنا عند الشيخ إبراهيم.. أتذكر الشيخ إبراهيم؟ (ويقهقه بصوت عالٍ).. كم كان شــديداً.. أتذكر كمْ كان يقسو عليّ؟ كان لا يمر يومٌ من دون أن أتلقى منه «علقة» ساخنة.. لطالما كان يصفني بالغباء الشــديد (يضحــك).. ولم يكن يملّ من ترديد العبــارة اليومية «لا فائدة منك»..

كان حسن قد جلس على مقعد واسع وثير، ماداً رجليه بانبساط وهو يضحك عالياً.. وقد فرد ذراعيه بجوانب المقعد المريح.

يواصل الرجل البادية عليه النعمة:

– لكنــك كنت ذكياً يا حســن.. ذكياً جداً.. وكنت تنال رضا الشــيخ دائمــاً.. وكان يثنــي عليك.. وعلى قدرتك في الحفظ والتعلم الســريع.. وكثيــراً مــا قدّمك إلينا قــدوة ومثالاً للتلميــذ النبيه والفائــق.. وتنبأ لك بمستقبل واعد.

– صحيــح.. كانــت تلك أيام لا تنســى.. ولا يمكن أن ننســى فضل الشيخ إبراهيم.. وفضل العلم علينا في الحياة.

– أتذكر زميلنا راشــد؟ كان دائماً يجلس في الخلف كي يتســنى له النوم وراء البدين محمود دون أن يلحظه شيخنا هههههه..

– أذكره نعم.. لم يكمل تعليمه معنا.. أظن متاعب أسـرته وحاجتهم ألجأته للعمل باكراً.

– إنه يسكن الآن بالقرب من هنا.. صار صاحب تجارة كبيرة.

على طرف طاولة رخامية منمقة كان الرجل الأنيق ينقر سـيجاره الغليـظ بإصبعه الكبيرة ليتفل رماده.. أعاده إلى طرف شـفاهه وتناول من طاولة مقابلة كأساً مملوءة بعصير الفاكهة وقربها نحو حسن، تلقف حسـن الكأس بيديه الاثنتين، ووضع الكأس الكبيرة على فخذيه مشبكاً عليها بكلتا يديه.

عاد الرجل للحديث بعد أن أطلق سحابة دخان من فمه وأنفه باتجاه السقف المثقل بالنجف والمصابيح:

– إنما أنت لم تخبرني يا حسـن.. مـاذا حل بك بعد ذلك؟ أين تعمل الآن؟

– في الخارج؟

– في أي دولة؟

– أقصـد في الخارج.. خارج المبنى.. في الشـوارع المجاورة من هنا.

– أها.. وما المنصب الذي تحوزه؟

لم يكن الرجل ينظر لهيئة حسن جيداً ومظهره بالثياب المهترئة منذ أن دخل.. بادره حسن (ضاحكاً):

– وهل هذه هيئة رجل يحوز منصباً؟

ضحكا سوياً.. ورد الرجل:

– مازلت نبيهاً كما عهدناك، ولا بد أنك الآن تحظى بعمل تستحقه.

– نعم.. أَجرٌ عربة خضار في السوق المركزي بالقرب منك.. أبيع خضاراً طازجة أستقدمها من مزارع مأمونة.. نعم مأمونة، والمزارعون يتخيرون لي أجود الأصناف.. تعرفني أحبّ أن أكون متميزاً في عملي.. ولا أبيع إلا ما كان جيداً.. لماذا لا تأتي إليّ في السوق وترى بنفسك؟ سأقدم لك تخفيضاً في السعر.. وأنتقي لك أجود ما عندي.. نحن أصدقاء جداً.. وربما أعرفك إلى الباعة زملائي هناك.. ستُسر لمعرفتهم، وستأتي إلينا كل حين.. تمارس ضحكتك المعهودة معنا.. وتستمتع بـ«النكت» البذيئة التي يطلقونها كل حين.. وقد آخذك، بعد أن نفرغ من البيع، في جولة على عربتي التي يجرها حمار عجوز.. هو عجوز فعلاً (يضحك عالياً).. لكنه ليس بأسوأ من الحمار الأعرج الذي كنت تقذفه بالحجارة كل حين في طريق ذهابنا وعودتنا من الكُتاب.

صمت الرجل قليلاً وبدأ يدقق بنظره في هيئة حسن أمامه.

استمر حسن في حديثه المسترسل براحة كبيرة:

– لكنك لم تخبرني أيضاً.. وأنت أين تعمل الآن؟ لا تبدو عليك آثار الشمس كما أنا.. ربما أنك تعمل في مكان به ظل على الأقل (يضحك كثيراً).

استمر صمت الرجل لبرهة.. ثم أشاح نظره إلى نافذة عريضة:

– يبدو أنك لا تشاهد التلفزيون؟

– (يقهقه).. ومتى أشاهده؟ إذا كنت لا أملكه أصلاً!!

– أممـم.. حسـناً.. صرت مسـؤولاً كبيـراً في هذه البلـدة، بفضل جهودي وذكائي طبعاً، أنا الآن رئيس البنك المركزي هنا.

رفع حسن بارتعاش كأس العصير إلى الطاولة المقابلة.. لم يكن قد شرب منه شيئاً، ووقف من فوره متلعثماً بكلام كثير:

– «سـيدي.. أنا سـعيد لأنك أتحت لي هذه الفرصة لمقابلتك.. سعيدٌ للغاية.. هذا فضل منك كبير، لقد شرفت برؤيتك سيدي بعد زمن طويل.. أنا حسن.. حسن زميلك أيام الكُتّاب.. أعتذر بشدة الآن.. وأرجو أن تغفر لي حين كنت لا أسـتطيع أن أكتم ضحكتي كلما وبّخك الشـيخ إبراهيم.. هل قلت وبّخك؟ أنا آسف فعلاً لم أقصد.. قصدت حين كان يقدم نصائحه الثمينة لك.. وها قد أصبحت كما كان يرجو ونرجو جميعاً..

أستسـمحك سـيدي يجب أن أُبعـد عربتي الآن.. أخشـى أن يؤذي منظرها الفناء الخارجي والسيارات الموجودة هناك..

أعتذر سـيدي.. هذه فرصة عظيمة بلقائك.. أتمنى لك كل السـعادة والرخاء.. فأنت تستحق.. أشكرك سيدي.. أستأذنك سيدي».

انحنى حسن قليلاً.. وغادر بسرعة باتجاه الباب الكبير ليقود عربته، وقـد ترك المقعد مبتلاً مـن أثر المطر في ثيابه.. بينما اسـتمر الرجل ينفـث دخان سـيجاره بهدوء.. في انتظار أن يتوقـف المطر.. كي يقلّه الموكب المستعد بالخارج في زيارة عمل.

***

حَيّ ابن سهبان

الممـرات الضيقة، المهترئــة كأعمدة النور، المطليــة بالصدأ.. لا تومض إلا لماماً.

يعج هــذا الحي باتجاهاتــه المتداخلة بالصخب الخــدر.. بهمهمات القاطنين فيه التي تماثل بعضها.

يتكوّم في الركن المنخفض العم ســعيد.. لا يكاد يفارق دكّته إلا قبل أن تهمــد الأضواء داخل المســاكن.. ولا ينفذ الفجــر إلا بحضوره إلى ذات المكان.

يعــرف كل القاطنيــن فــي الممر الرئيســي والعاملين فــي المحالّ المنثــورة بــه.. وبات يحفظ حتى وَشوشــاتهم مع زبائنهــم أو حتى مع أهليهم داخل البيوت.

يُرخي أحمد صاحب محل الخضار سمعه لكل شاردة وواردة في الحي، وهذا ديدن أغلب العاملين هنا، وحده بائع الخبز لا يأبه لأحد ويعيش منعزلاً عن البقية!

يظل المقهى ذو الكراسي الخشبية المائدة المستديرة لهذا الحي.. يلمّ حكاياتهم.. كما يشظّيها!

الشاب الأسمر الذي يظل يدور حول طاولات المقهى، ويملؤها بأكواب الشاي وألواح الشطرنج هو الأقدر على تمييز كل سكان الحي، لكنه لا يعيرهم بالاً كما هم يعاملونه بالضبط.. فهو غريب وقادم من مكان قصيّ للعمل هنا منذ صغره.

يتربع على الطاولة المنفردة السيد سويلم ذو الشارب الكثيف، ليس لهذا الحي سيد واحد.. لكن سويلم يحاول أن يقوم بما يشبه هذا الدور، وإن كان لا يفلح في فرض نفسه كثيراً هنا.

وحدها أمينة من توقف حراك هذا الحي حين تمرّ كل يوم وسط هذه الممرات بقامتها الفارهة ووقع خطاها الأخاذ.

يتوقف الكلّ عن النشاط إلا من زيادة الخفقان واستراق النظر لكل ما يمكن أن يبدو منها.

لا أحد قادر على الإيقاع بها في حبائله.. وأمينة هذه تشعر بالزهو؛ لأنها تسقط هذا الحي من أطرافه تحت عينيها الواسعتين.

حاول إمام المسجد خِفيةً، وهو القادم من بعيد لغرض إرشاد الناس هنا، أن يظفر بها زوجة دون جدوى، وكان وعدها بأن يرحلوا بعيداً عن هذا الحي المخدور.

تنفذ أصوات صابر وزوجه إلى بهو الطريق كل حين.. صار الحي يعرف مشـاجراتهما اليومية ويتداولها، حتى بـات يتعرف إلى زعيق الأبواب عندهما ويفرق بين حالاتها!

الطفولـة فـي الحي تكاد تنعدم إلا من أصوات بـكاء الرضّع.. فكل الصغار هنا يعملون منذ نعومتهم خلف الكبار، أو يُرسـلون إلى أماكن وقضايا خارج الحي!

لا يـكاد هـذا الحي يحفـل بيوم جديـد إلا على ايقاع سـابقه.. ذات الرتابة، والمشـكلات عينها تنقص رغبة الجميـع بالحياة كل يوم أكثر من ذي قبله.

يلتقي مسنّو هذا الحي من وقت العصرية حتى الغروب بالقرب من مزراب الماء.. حفيف عِصيّهم في الأرض أكثر ضجيجاً من حديثهم.. يتحسّرون على ماضٍ لم يهنؤوا به.. ويستقبحون حاضرَ هذا الحي وهم عطـل كبير فيـه.. كل يوم يكررون ذات الأخبـار.. ولا يبعثرهم للنوم سوى هبوط الظلام.

لا أحـد يأتي هذا الحي من خارجـه إلا في النادر، فهو منكفئ على وجعه، والراحلون منه لا يعودون، ولا يأبهون لأخباره فيما بعد.

الحيـاة رتيبـة.. تبدأ من أحاديث المسـجد ووعظـه المكرور، ولا تنتهـي بواحديـة الطعـام وصنف الحديـث المتداول بيـن الناس بذات الصيغ والسـذاجة.. سـوى من حديث واحد لم يصل سـكان الحي إليه بنتيجـة؛ الحديث عن كنز مدفـون في زاوية من زوايـا الحي، كثرت حوله الروايات حتى بات أسـطورة، ولم يتبرع أحدٌ بالكشف عن الكنز أو عن كذبة الكنز!

لا شـــيء تغيّر فـــي هذا الحي منذ أن رحل ابن ســهبان، كما يحكي المسنّون في رواياتهم الدائمة عنه، إذ غادر منذ عشرات السنين للبحث عــن وعل بثلاثة قرون كما طلب منه أحد المنجمين، يذبحه عند مدخل الحي وقت بزوغ شـمس يوم دافــئ، فيرتفع مع ضوئها حال هذا الحي ويصلح.

لم يعد ابن سهبان حتى الآن.. ولم تنتظر الشمس فدية الوعل!

* * *

في حضرة القهر..

ارتعشت عيناها فرحاً وهي تشاهد التلفزيون الرسمي يعلن اسمها ضمن قائمة الأوائل على مستوى الدولة في امتحانات الثانوية العامة.

كانت لمى، الفتاة اليتيمة منذ الخامسة، تقفز في أرجاء الحجرة فرحاً، حين لم يأبه مَن حولها كثيراً لهذا الخبر الذي أشعل سرورها.

عمّتها تنظر إليها شزراً مطلقة نصف ابتسامة نائتة.

وعمّها الأصغر يصرخ فيها: اهدئي.. لا تفضحينا أمام الجيران بصوتك، يكفي أن التلفزيون قد فضح عائلتنا حين أعلن اسمك على الملأ!

أمّا البقية في هذا البيت المتناقض فلم يسمعوا الخبر إلا من أصدقائهم خارج البيت وتعاملوا معه كما لو أنه لا يعنيهم، أو يسبب لهم بعض الحرج.

وحدهــا ابنة عمّتها، في الثانية عشــرة من عمرها، من هنأت لمى، وأكملــت تلك الليلة بجوارها تُضاحكها وتفــرح لها، بعد أن أطفأ رجل البيت الأول، زوج عمّتها، النور منعاً للضوضاء وتوفيراً للكهرباء!

كانــت لمى قد فقدت أباها إثر حادث مروري، إذ كان يعمل ســائقاً لدى إحدى الشــركات، يتنقل بين المدن طوال الأســبوع، ولا يعود إلى بيتــه إلا يوم الجمعة ليحتضــن وحيدته لمى، فهــي كل أمله في الدنيا، يضع لهــا صوراً متعددة في زوايا قمرة الشــاحنة التي يقودها، وعلى المقود، وصورة صغيرة بجوار عداد السرعة.

بعــد وفاة أبيها.. تزوّجت أمّها وتركتها لإخــوة أبيها الفقيد. تقبلوها علــى مضض، لكنّ ترقبهم لتعويض مُغرٍ من الشــركة التي عمل فيها أبوها جعلهم يحتفون بها حتى حين.

عاشــت لمى خادمة لكل من في البيت رغم صغر سنها، الكل يقسو عليها ويلقي الأوامر، وهي متنفس تفريغ الغضب لأي أحدٍ منهم، حتى المدرسة لم تكن لديهم رغبة في ذهابها إليها إلا مرافقة لأبنائهم، تذهب بهم وتعود.

ظلت تنتظرهم في فناء المدرســة ســنة كاملة، حتى التقطتها إحدى مُدرســات المدرسة وجعلتها ضمن طالبات السنة الأولى، رغم أنها قد بلغت الثامنة.

تقدمــت لمى في الدراســة وأظهــرت تفوّقاً ملحوظــاً، رغم أن من يعولونهــا لم يعرفوا شــيئاً عن انتظامها في الدراســة إلا بعد تجاوزها المرحلــة الابتدائية، لم يمانعوا ســاعتها من اســتمرارها مادامت تقوم على رعاية أبنائهم في المدرســة، لكنهم لم يمنحوها شيئاً من متطلبات

المدرسة، وكثيراً ما تعرضت للطرد والتوبيخ من المدرسين، ولم يكن يشفع لها سوى ذكائها وهيئتها التي تدعو للشفقة، وكفالة بعض المدرسات لها.

لمى عانت كثيراً كي تفي بواجباتها المدرسية وتستذكر دروسها، إذ كان هذا أمراً مستحيلاً في البيت الذي تسكنه؛ استغلت أوقات النوم في البيت وأوقات الراحة في المدرسة لتؤدي ما عليها قدر الإمكان.

دخل أحمد عمّ لمى الكبير إلى البيت حاملاً إحدى الصحف، وقد عثر فيها على اسمها مقترناً بمعلومات عن ابتعاث الدولة لها إلى إحدى الدول المتقدمة لإكمال دراستها الجامعية في الطب نظير تفوقها.

لم تكن لمى تعلم شيئاً إلا من حوار أعمامها المتشنج في غرفة المعيشة، إذ دار الحديث حول الرفض الشديد لتدخل الدولة في ابتعاث ابنة لهم دون أخذ رأيهم! وكيف أن هذا الأمر سيسبب لهم حرجاً أمام الناس، إذ كيف يقبلون من حيث المبدأ أن يُعلن اسمها ضمن قوائم السفر إلى الخارج للدراسة وهي فتاة وحيدة!

وحده عمّها الأصغر من حاول أن يوجه الموضوع باتجاه مختلف.

لمَ لا نسمح لها بالسفر! من ناحية سنستريح من همّها والإنفاق عليها، ومن ناحية أخرى سنتقاضى المال الذي ستمنحه لها الدولة.

في اليوم التالي انطلقت لمى في الخفاء للبحث عن الوزارة المسؤولة عن ابتعاثها، وهناك أكملت أوراقها وتبقت لديها موافقة ولي الأمر على ابتعاثها، المطلوبة من البنات فقط.

أدركت لمى استحالة هذه الموافقة، وأن أي خطوة نحو الحصول عليها ستهدم حلمها للأبد في حال علم أعمامها أنها بدأت في إجراءات السفر.

كان قلبها يرتعد كل حين، والنوم لا يقترب منها، أيامها هذه مرّت بتوتر شديد وهي تخشى عواقب الأمر الجلل الذي أقدمت عليه، حلمها أن يمرّ بسلام لتنجو من الجحيم الذي تعيشه، قبل أن تفرح بأنها ستتمكن من الدراسة بأمان وتحقق طموحها.

وهي تخرج من باب إحدى الإدارات في الوزارة المسؤولة عن ابتعاثها، ارتطمت دون أن تشعر بأحد الفتيان الذي بدت عليه علامات الغِنى.. صاح الموظف في لمى وهي تتلعثم إزاء ما حدث لها مع هذا الشاب:

«إذا لم تُحضري موافقة ولي الأمر في غضون يومين ستُحرمين من هذه المنحة الدراسية على الفور».

أدارت لمى وجهها باتجاه المخرج العام للوزارة وانطلقت مغادرةً، وقد فقدت أملها في تحقيق حلمها بسبب هذه الموافقة الخطية.

عند المخرج سمعت صوتاً من خلفها، لمى؟ ارتعبت خوفاً، لكنها التفتت لتجد ذات الشاب هو من يدعوها.. ظنّت أنه يودّ الاعتذار، لكنه بادرها بالقول:

– ما مشكلتك؟

ترددت في الإجابة.. ولم تبح:

– لا شيء.. لا شيء.

لم يمنحها فرصة أخرى وتحدث إليها:

– أنا مبتعث أيضاً رغم أني لست من الأوائل ولا من الذين يلونهم «ضاحكاً».. قرروا أن يبعثوني إلى أمريكا.. مازلت متردداً في الأمر.. أفكر في مكان أكثر راحة.. أمممم.. فهمت من الموظف أنكِ متفوقة وحصلت على منحةٍ دراسية؟

يواصل حديثه وهو ينظر إلى ملابسها بتأفّف:

– لكن يبدو أن والدك يرفض أن تفارقيه، فلمْ يمنحك موافقة على السفر...

تلكأت لمى في حديثها.. واكتفت بالقول:

– رحمة الله عليه.

– أها.. إذاً فأنتِ يتيمة؟ ليس لك من يعولك؟

بعد تردد: بلى عمي.. لكنهم جميعاً يرفضون فكرة السفر للدراسة تماماً.

همّت لمى بالمغادرة فلم يسبق لها أن وقفت مع غريب من قبل هكذا..

– انتظري لو كنتِ راغبة في السفر للدراسة، سأساعدك.

توقفت لمى.. هل سيكون هذا هو الفرج لها.. هكذا ساءلت نفسها، قبل أن تلتفت إلى الشاب ثانيةً:

– راغبة بشدة.. هذا أملي الوحيد أو سأبقى بقية عمري في القهر.

ابتسم الشاب طويلاً، ثم قال:

– لا عليكِ.. اعتبري الموافقة قد تمت.

ذُهلت لمى.. معلنة: وكيف ذلك؟

– لا أحد يرفض طلباً لوالدي في أي مكان من مؤسسات الدولة!

– لكن.....

– لا تقلقي.. سأخبر الموظف الآن أن يتدبر الأمر.. تعالي معي.

أضـاف الموظف المختص ورقة إلـى ملفّها قال إنها تفي بالغرض بعد حديث جانبي مع هذا الشـاب، ولمى ترقب الأمر بتعجب واندهاش شديدين.

عند انتصاف ليلة باردة.. كانت لمى تخط رسالة لأعمامها ستضعها قبل تسـللها من البيت باتجاه المطـار، فهذا موعد رحلتها، وقد امتلأت من الوجع عبر سنيّ عمرها والشجاعة أيضاً ما يجعلها تصرّ على نفاذ أمر سفرها بأي ثمن.

في الطائرة تفاجأت بوجود الشـاب في أحـد مقاعد الدرجة الأولى عند دخولها، بادرها بالابتسام.. ولحقها بعد أن استوت على مقعدها.

– سـنكون سـوياً في هذه الدولة، قررت أن أكون زميلك هنا، فقد ألغيت فكرة أمريكا، وأتمنى أن أقف بجانبك لتحققي حلمك.

لـم ترد عليه لمى.. ألقـت بنظرها إلى الخارج مـن نافذة الطائرة،

وهي لا تصدق بأنها الآن على وشك التحرر من قيد من يعولونها إلى الأبد.

مرّت الأيام على لمى وقد انتظمت في دراستها، كانت تشعر بأنها قد انتقلت إلى الجنة، فهي الآن طالبة جامعية مرموقة، وصارت تشعر بأنها تعيش كأي انسان يحقق آماله، ويتصرف في الحياة بحرية ومسؤولية دون قهر أو استعباد، لا أحد فوقها ينهرها أو يتحكم في أنفاسها.

ذات يوم التقت ذات الشاب بعد غياب طويل.. لم تكن لتتجنّبه وقد أسدى لها معروفاً لا يمكنها نسيانه مدى الحياة.

– أريد أن نلتقي كثيراً.. أودّ أن أساعدك في أي شيء في بلاد الغربة!

ابتسمت له لمى وانطلقت إلى قاعة المحاضرات.

كثُرت مصادفات لقاء الشاب بها.. كانت تشعر بأنه يترقبها كثيراً.. وذات يوم طلب أن يجلسا سوياً بعد انقضاء المحاضرة ليحدثها في أمر مهم.

أخبرها أنه معجب بأخلاقها وذكائها ومثابرتها.. وأعلن لها أنه يحبّها.

توالت الأيام حتى صارحها وهي في السنة الثانية من الدراسة أنه يفكّر في الزواج بها.

لم يكن الأمر يروق لها، هي تفكّر الآن بالدراسة فقط حتى تحقق

ذاتها وطموحها، لكن إصرار الشاب جعلها توافق على لقاءات سريعة في الحدائق العامة في أيام الإجازات.

ظلّ الشاب يطاردها كثيراً، ويطلب إليها أن تخرج معه للسهر، أو يقوما برحلات خارج المدينة، وهو يُمنّيها أنها الآن بمثابة خطيبته، وأن مستقبلاً كبيراً في انتظارهما ويجب أن يتعرفا إلى بعض أكثر.

كلما طلب منها شيئاً من هذا القبيل وجد رفضاً شديداً منها. ألقت ذات يوم في وجهه كتبها الدراسية بعد أن أمسك ذراعها في فناء الجامعة وهو يُلح عليها بالخروج معه في نزهة طويلة بسيارته الفخمة.

كانت لمى قد سمعت عن تصرفات الشاب، ومغامراته المريبة مع الفتيات من جنسيات مختلفة وسلوكه السيئ، فضلاً عن إخفاقه المتوالي في الدراسة.

ذات يوم غائم.. غادرت لمى مدرج السنة الثالثة متجهة إلى السكن الخاص، وبالقرب من السكن في منطقة خالية وقفت أمامها سيارة ضخمة نزل منها الشاب بسرعة.. شدّها إلى داخل السيارة وسط صراخها ومقاومتها التي لم تفلح في منعه من دفعها إلى المقعد الخلفي.

– لا أقبل أن تهينني فتاة فقيرة ساذجة أمام أصدقائي وصديقاتي.. سآخذ حقي منك.. وستمكنينني مما أريد.. وإن لم.. سترين ما سيحل بك!

استطاعت لمى دفع باب السيارة بقوة بعد أن بادرته بضربة في رأسه بقنينة كانت أسفل المقعد، إثر محاولاته الإمساك بها وشدّ ملابسها.

لم تغادر لمى السكن لأيامٍ خوفاً مما قد ينالها.. ولم تخبر أحداً بما حدث.

حتى تلقت صباح ذات يوم خطاباً من الجامعة يفيد بأن عليها من الآن دفع مصروفات دراستها والتكفل بسكنها واحتياجات معيشتها أو المغادرة.. فقد تلقت الجامعة مذكرة من جهة ابتعاثها بتوقف المنحة المالية عنها لأسباب غير معروفة!

***

طـابـور..

– هيـيه.. أنـت.. التزم الطابور.

كان الرجــل المعجون بالخيبات لا يسـتطيع الوقـوف في الطابور بشـكل منتظم، يكثر من تلفته، وخروج أجزاء من جسده مرة من جهة اليمين ومرة من اليســار، يهمس فــي أذن من يقف أمامه مبدياً ضجره من الواقع والطابور المملّ، وساعة يعود إلى من خلفه معلناً أسفه لهذه الحال:

«لا يمكن أن يظل وضع الطابور هكذا حتى يصل أحدنا إلى مبتغاه ومراده. أمَا من طريقة أخرى اخترعها الإنسان غير الطابور للوصول إلى الحاجة أو الحق؟

أوووه هذا الرجل الذي في الأمام لا يكاد يتحرك..

لماذا لا يتقدم قليلاً.. لا ينبغي أن يترك فراغاً ونحن في زحام هنا.

انظر.. ذاك الرجل ذو القبعة السوداء كثيراً ما يُدخل أشخاصاً قبله في الطابور جاؤوا من خارجه، ولم ينتظروا كما الآخرين..

هذا رجل ثقيل.. ذاك أغلظ طباعاً.

لكن هذا مسكين.. لا يكاد يتكلم في هذا الطابور الطويل حتى لو دخل الجميع من أمامه وانتهوا من أمرهم، سيبقى هنا إلى ما لانهاية.. لا علاقة له بأحد ولا يتحمل همّ أحد.

لا أعود إلى البيت إلا وقد يبست قدماي، وتصلبت ساقيّ، يا له من طابور لعين».

هكذا يوزع هذا المواطن حديثه في كل اتجاه، ولكل شخص يقف قريباً منه، لا أحد يردّ عليه، أو أنهم قد تعودوا على حديثه، أحسنهم يهزّ رأسه له بنصف التفاتة، ويتركه لكلامه الذي لا ينقطع.

الطابور يتحرك ببطء شديد إلى الأمام، وبسرعة ارتجاجية كاندفاع الموج إلى الخلف إذا ما قرر أحد المنظمين للطابور أو القائمين عليه بدفع الواقفين كلهم إلى الوراء قليلاً مرة واحدة.

حركة الأقدام في الطابور ثابتة تزحف شيئاً فشيئاً، أكثر منها حركة الأنفاس، والتنهدات المكتومة التي لا تريد أن تبين.

لا شيء يثير استغراب الرجل مثل عشق الناس للطوابير، يأتون للطابور وهم وجِلون، وإذا ما أنهى أحدهم أمره لا يقفز سريعاً من الطابور فرحاً لأنه قد أنجز وتخلص من همّه.

الدخول في الطابور والخروج منه سيان..

«ربما بعضهم يجد في الطابور متعة أو راحة من شيء أكثر إرهاقاً منه، ما ذاك العناء الأشد من هذا؟».. يتساءل الرجل.

«هذا يقرأ صحيفة هنا.. هل يعي ما يقرأ في هذا الجو المخنوق؟

ألـم تخبـره الصحيفـة أن الوقوف فـي الطابور يسـبب الكثير من الأمراض، ويُنصح بالابتعاد عنه؟

ربمـا أن المواد المنشـورة في الصحيفة أيضـاً تخضع لطابور في الترتيب والنشر والتمحيص.

حسـناً.. الشـمس لا ترحم، لماذا لا ينزاح الطابور إلى الظل قليلاً؟ هل علينا أن نتعرض لقهر الشمس كي لا نزعج الظِل!

لا توجـد علامـات مرسـومة تُحكـم بقـاء الطابـور بهذا الشـكل القسري..

أمممـم.. هذا يأتي إلـى الطابور بزجاجة المـاء، وفي جيبه فطيرة يمكـن أن يتناولها متى شـاء، هل يريـد هذا أن تبقـى الطوابير موائد طعام، أو أن نشعر بأننا لا نشبع إلا في الطابور؟

أريد ماء.. ماء.. ماء من فضلك؟

لا أحد يُعطيني!

علـيّ أن أَحضـر غداً إلى الطابـور بكميات كافية مـن الماء.. هذا أفضل.

آآه.. كل شيء في الحياة هنا بالطابور.. حتى الموتى في المستشفيات، عليهم أن يأخذوا دورهم في الطابور لينالوا خدمات ما بعد الموت، ما قبل الدفن.

ما الضير إذاً، أن يكون الطابور وسيلتنا العصرية للنهوض والموت معاً..

ألَا يخرج الجنود للموت في المعارك بالطابور؟ بلى.. فعلتُ ذلك حين كنت أخدم في الجيش.. لكن يبدو أن طابوري لم ينل نصيبه من الموت.. ربما أنال نصيبي منه في طابور أفضل. المهم أن يكون في طابور».

– ألم أخبرك أن تلتزم الطابور؟

كان هذا الصوت هو النداء الموجّه للرجل للمرة الخامسة كي ينضبط في وقوفه بالطابور..

لا يأبه الرجل كعادته لكل هذه التنبيهات.. ربما يصمت قليلاً ممسكاً بيده شفته السفلى، ثم يعود لذات الحديث:

«هل تعلم.. الطابور ظاهرة صحية في المجتمعات، له دلالة كبيرة في احترام القانون والنظام.. علينا أن نتعلم..

لكن هذا الطابور لا ينتمي بشكله المتعرج هذا إلى ذات العصر، إنه طابور من العجزة.. فاقدي الأمل في أي شيء، لو كان لديهم أمل لما وقفوا في الطابور، وربما أيضاً لا يأتي الأمل إلا لمن هم في الطابور ينتظرون.. والأماني لا تأتي إلا بانتظام كما يبدو».

يزحف الطابور إلى الأمام قليلاً قليلاً، والرجل لا يكفّ عن حديثه، ولا ينتهي دورانه في موقعه موجهاً حديثه لكل من حوله، الذين كأنهم لم يملّوه أيضاً.

كان الواقف قبل هذا الرجل في الطابور قد وصل الآن إلى المقدمة، وبات في مواجهة الشباك الصغير الذي لا يظهر منه سوى جبين الموظف العريض، بينما أصبح الرجل خارج الطابور تماماً مواصلاً حديثه الذي لا ينقطع.

أعاده أحد المراقبين على الطابور إلى نهايته بسبب ذلك، وحين استقر في موقعه الجديد في نهاية الطابور؛ بدأ يُخرج رأسه من مكانه القصي ليعُدّ كم من الواقفين أمامه حتى يصل إلى النافذة!

– هيييه.. أنت.. التزم الطابور!

* * *

الرحـلة الأخيـرة

تفقّـد ياقته وهـو يهمّ بطرق الباب، كان في زيـارة لعمّه إثر وعكة ألمّت به وهو شــاب ممتلئ يهابه المرض. دلـف مالك إلى غرفة عمه عبر رواق معتم:

– سـأسافر يا عمـي.

– إلى أين؟

– قررت أن أقضي إجازة العيد خارج هذه المدينة الموحشة.

– (مبتسماً) حبيبتك فيها!

– وأعداء حبيبتي فيها أيضاً..

همّ مالك بمغادرة البيت، لم ينسَ أن يجيل النظر في وجه عمّه الذي بدا مشعاً كأبهى ما يكون.

– انتظر يا مالك سنخرج سوياً إلى السوق.

– (متلكئاً) لكن أنت مريض، وتلزمك الراحة في البيت.

– لا، لا تقل عليّ هكذا.. لا أعرف شيئاً اسمه مرض.

كان مالك يرى في عمّه أباه، ومعلّمه الوقور الذي يهابه عبر مراحل حياته، وصديقه الأمين على أسراره، وإليه يبوح بكل رغباته.

اقتربت السيارة من منزل عمّ مالك وعليها أصدقاؤه الذين اجتمعوا على إقامة رحلة متفردة تجمع إليهم ذكريات قديمة أيام دراستهم، كان الإعداد لهذه الرحلة ميسراً على غير العادة وتوافقوا عليها بسهولة.

رنّ هاتف مالك؛ إذاً هم أصدقاؤه وقد أتموا الاستعداد للرحلة التي لم يحددوا وجهتهم فيها بعد، المهم أن يجتمعوا في رحلة قد يمرون فيها بمدنٍ كثيرة ولا يقيمون إلا للتزود أو النوم، القصد أن تقيم معهم الضحكة والمرح والذكريات المبهجة.

هرع مالك مسرعاً نحو الخارج وعمّه في إثره:

– مسافر؟

– نعم يا عمّي.. أستودعك الله.

لم يأخذ مالك مكانه جيداً على السيارة حتى لمح عمّه يطل من نافذة البيت.. وهو يمسك بذقنه معاتباً:

– ستتركونني هنا وحيداً؟

– لكنك مريض.. كان هذا ردّ رفاق الرحلة بشكل جماعي.

– انتظروني.. قالها عمّ مالك وهو يحشد وجهه ويرفع حاجبيه.

كان أصدقاء الرحلة على معرفة عميقة بعمّ مالك، فهو أستاذ لهم جميعاً في مراحل الدراسة، ومَثَلُهم في الحياة، لم يملكوا إلا الصمت والفرح المتشكك من مرافقة عمّ مالك لهم في رحلتهم الغريبة.

اصطحب عمّ مالك ابنيه الصغيرين معه، وزوّد الرحلة بكثير من المؤن.

صعد إلى السيارة وسط اندهاش الأصدقاء وفاجأهم بالسؤال:

– أين وجهتكم؟

تلكأ الأصدقاء وطرحوا عدة مسارات للرحلة.

– المدينة الساحلية.. وجهتنا، هكذا حسم عمّ مالك قرار الرحلة ووافق بقية أفرادها على مضض.

في الطريق.. بدا مالك منتشياً، لأنه سيظفر بعمّه لوقت متسع، يناقش معه موضوعه العالق بخصوص زواجه بالفتاة التي أحبها، وسط تعنت والده الشديد ووضعه شروطاً قاسية على مالك من شأنها إفساد زواجه.

طمأن العمُّ مالكاً بأنه سيتصدى وبشكل لا تهاون فيه لمحاولة أخيه الأكبر منع مالك من الزواج أو عرقلته في اختياره لشريكته في الحياة.

انتشى مالك كثيراً في هذه الرحلة وهو يستذكر كل ما يمكن استذكاره ليبوح به لعمّه، رتّبا أمر الزواج، وأعدّا خططاً كثيرة كي يمرّ العرس دون إعاقة.

شعر مالك بأنه تمّ حلّ كثيرٍ من القضايا التي كانت تفقده النوم لشهور طويلة في ظرف ساعة برفقة عمّه، أخذ نفساً عميقاً وألقى برأسه على مقعد السيارة التي تسير بسرعة باتجاه البحر.

بدا البحر هادئاً في عتمة الليل وأقدام الأصدقاء تتسلل إليه، تستنطق مراميه، وقد هدّهم سفرٌ طويلٌ اقتنص منهم نصف يوم.

خلدوا إلى النوم وسط ضحكات لم تنقطع منذ استقلوا السيارة في بداية الرحلة.

لم ينم عمّ مالك إلا قليلاً، كان قد قضى آخر الليل بالصلاة، وها هو يوقظ الأصدقاء للخروج من الفندق إلى المسجد المجاور لأداء صلاة الفجر رغم تململهم من هذا الأمر، فهم في سفر وبإمكانهم أداء الصلاة في الفندق.

أدّوا الصلاة والنوم يثقل أجفانهم، متعجبين من عمّ مالك المريض الذي لم ينم إلا قليلاً وها هو الآن يصرّ على الخروج في زيارة للبحر والمدينة قبل الشروق.

وافق بعضهم واستطاع البعض التسلل للنوم بمن فيهم سائق الرحلة، تسلّم عمّ مالك مقود السيارة واتجه بمالك وصديق آخر ومعهم ابناه إلى البحر، لعبوا كثيراً هناك. وأخذ عمّ مالك «يمرجح» ولديه على آلات صدئة ملقاة على الشاطئ الواسع.

تنــاول الثلاثة الإفطار وسـط المدينة القديمــة، وفي كل لحظة يمتد نظر مالك إلى وجه عمّه مندهشــاً من البهاء المشــع في وجهه، لم يكن متيقنــاً أن هـذا الحُســن البادي علــى وجهه هو عرض مــن أعراض المرض الخفيف الذي أصابه.

أخذ عمّ مالك يقود السيارة في شوارع المدينة التي تهمّ بالاستيقاظ، فيما وجد مالك نفســه في آخر مقعد لحظة أن أحس بانقباض شــديد في صدره لم يألفه من قبل. شَـعر بخوف داخلــي غريب وهم يوازون في ســيرهم البحر المصقول بطلاء الشمس لحظة شروقها، أحسَّ أن هناك أمراً مقلقاً ما يحدث الآن.. هكذا يرى في هذا التوارد الغريب.

انطلق عمّ مالك بالسيارة إلى منطقة ساحلية ينغرس في بحرها جبلٌ بُنيت عليه ســلالم أســمنتية من قاعه لأعلاه، سرعان ما نظر عمّ مالك بواسطة مرآة السائق الداخلية متوجهاً بحديثه إلى مالك:

– لماذا لا تقترب مني في هذا المقعد الأمامي؟ اليوم سأســابقك في الصعـود إلــى أعلى الجبل، ســأتحداك، قررت أن أصعـد إلى الأعلى اليوم!

ابتســم مالك من بعيد.. وهو يتأمل من نافذة السيارة النوارس وهي تحوم حول ســفينة مهجورة بدت مدمرة بفعـل معركة بحرية قديمة لا يُعرف عنها شيء.

حــاول مالك وصديقه إثناء عمّه عن رغبته في صعود الجبل، ليس لأنهما يشكّان في قدراته الجسمانية، لكنهما يخشيان من عواقب مرضه المفاجــئ، وتحت إصــراره ورفضهما طلــب منهما الاهتمــام بابنيه، وانطلق.

انثالت الضحكات الهستيرية من مالك وصديقه وهما يتقاذفان بماء البحر ويمرحان فيه، والموج الهادئ يناغيهما علواً وهبوطاً.

لمح مالك من بعيد عمّه وهو يُشرف على الوصول إلى قمة الجبل، كما لو كان طائراً يوشك أن يُحلّق في الفضاء.

خرج مالك وصديقه من البحر منهكين بعد سباحة طويلة.. وانتبها للتوّ إلى أن العم لم يعد حتى الآن.. انتظراه فقد تأخرت عودته.

مرّت ساعتان منذ لمح مالك عمّه مقترباً من قمة الجبل، قرر مالك أن يصعد إلى الجبل رغم المشقة وطول المسافة فربما يصادفه في الطريق، أحسّ مالك أنه يقطع السلالم صعوداً بخفة عجيبة رغم أنها تستهلك وقتاً وجهداً في الصعود. ها هو مالك في قمة الجبل الآن يشاهد بحراً عظيماً لا نهاية له، والقمة الصغيرة هذه بدت خالية من أي بشر أو أثر، تأكد حينها أن عمّه قد غادرها تماماً، وأنه الآن يستبطئه عند السيارة، ولذا يتوجب عليه النزول مسرعاً كي لا يثير غضبه.

عند السيارة تفاجأ مالك أن عمّه لم يصل بعد، وأن صديقه وابني عمّه في قلق عليهما معاً.

بدأ القلق يتسرب إلى نفس مالك، لا يمكن لعمّه أن يتخلف كل هذا الوقت، وهو المنضبط في مواعيده طوال حياته إلا لعذر قاهر، قد يكون إعياء المرض أصابه فاضطر إلى أخذ راحة في مكان ما بالقرب منهم.

بدأ مالك يتحسر لأنه رفض مرافقته إلى الجبل، والمهم الآن أن يجده ليعتذر منه ويعودا إلى الطفلين اللذين ينتظران أباهما بفارغ الصبر

والحنق. كل الأماكن التي شكّ مالك في وجود عمه فيها بدت خالية، والزائرون لهذا المكان بدؤوا بالرحيل تحت قسوة شمس الظهيرة.

– لا أحد.. أين سيكون عمّي إذاً؟ هكذا بدا مالك هائماً على وجهه والخوف يساوره من أن يكون المرض قد اشتدّ على عمّه ولم يجد أحداً يساعده في العودة إلى مكان انتظارهم.

توجه مالك تلقاء البحر من أسفل الجبل، وخلف كل صخرة كبيرة أو مكان للجلوس كان يبحث مالك عن عمّه، بدا له أنه لا يمكن أن يراه بهيئة غير القادر على السير، فعمّه لم يتعرض في حياته لمرحلة ضعف تفقده عنفوانه وصلابته.

نظر مالك حوله، وجد نفسه وقد انتقل إلى منحدر شديد، وأمواج البحر تتلاطم فيه، والوصول إليه صعب.

كيف قفز مالك إلى هنا؟ لا يعلم، المهم أنه يغذ السير الآن حول الجبل من نواحيه كلها، كي لا يُبقي عذراً لعمّه في عتابه حين يلقاه.

كان مالك قد انتقل إلى الجهة الخلفية تماماً من الجبل عبر البحر، رغم صعوبة الانتقال حتى بمراكب الصيادين، فجأة لمح مجموعة أشخاص يقفون على صخور كبيرة، شعر بأنه قد دخل في منطقة محظورة، فواصل سيره مسرعاً حتى استوقفه رجل منهم ظهر أنه يرتدي بزة عسكرية، وبدأ على الفور ينهال عليه بالأسئلة، بدا الأمر كأنه تحقيق فجّ في وقت غير ملائم.

لم يمسك مالك غضبه كثيراً، ووجد نفسه يصرخ في وجه هذا العسكري:

أنا أبحث عن شـخص قريب لي.. لماذا تستوقفني هكذا وتعطلني.. لم أفعل شيئاً..

قاطعه: قريبك موجود!

صمت مالك.. ووجد نفسه يلتفت إلى الجهة الأخرى ليرى عمّه ممدداً على منحدر باتجاه البحر. قفز مسرعاً باتجاه عمّه، وفي لحظة سريعة أمسكه الأشخاص الموجودون هناك، وكانوا من أفراد الشرطة بلباس مدني، ظنّ لحظتها بأن عمّه قد أُلقي القبض عليه، أو ربما دخل في عراك معهم.. لكنه تفاجأ سريعاً برؤية الدم ينزف من رأسه وهو ملقىً على وجهه، وكأن الصخور العالقة هي التي حمته من الانجراف الى البحر.

صاح بهم بلا هوادة: ماذا فعلتم به؟

ردوا بهدوء: صاحبك قد مات!!

أُسقط في يد مالك.. لم يصدق أن سنده في حياته ورفيقه قد انطفأ عقله الآن، وتوقف قلبه للأبد!

أخذوا يشرحون له، وهو لا يسمعهم، أن الصيادين رأوا عمه يسقط من مكان عالٍ في الجبل، وأنهم جاؤوا على إثر هذا البلاغ، لكنهم وصلوا وقد فارق الحياة، وهم ينتظرون هنا منذ ثلاث ساعات وصول قاربٍ تابع للشرطة الساحلية لنقل الجثة، ومن ثم التحقيق في الحادثة.

أعسر موقف لمالك الآن حين اقترب من السيارة، وابنا عمّه الصغيران في انتظاره ليطمئنهما على أبيهما.. تمنى لو أن البحر يغرقه قبل أن يقول لهما شيئاً أو يقف أمامهما، لكنه تمالك نفسه وبدأ بترتيب

متعلقات عمّه، وأخبر صديقه بأن عمّه قد مات.. نعم مات!

كانت السـيارة الطبية التابعة للشرطة التي تحمل الجثة وفيها مالك تسير بثقل شـديد باتجاه المستشفى لإتمام إجراءات إعداد الجثة للدفن، فيمـا كان هاتف مالك يرن بشـكل متكرر، ويظهر على شاشـته اسـم خطيبته التي تنتظر من مالك أخباراً سـارة في أمر زواجهما بمساعدة عمّه!

* * *

في انتظار «الباص»

– هل أحمل عنك الحقيبة؟

– لا.. شكراً.

– ألمّع حذاءك؟

– شكراً أيضاً.. ليس بحاجة إلى التلميع.

– أفرد لك هذه الجرائد.. لتجلس حتى يأتي «الباص».

– أشكرك لست بحاجة إلى ذلك.

– إذاً.. أعطني شيئاً من المال؟

يقف سـام في منتصف الرصيف، تمرّ من أمامه عربة قديمة يعلو صخبهـا، يجرّها رجل متقدم في العمـر، لا يأبه لأحد ولا يرتفع نظره

عن موطئ عجلاتها.. يكتفي بالزيت المتسخ المتسرب منها إلى أرضية الشارع غير النظيفة.

الباعـة الجائلون هنا ترتفـع أصواتهم بالدعوة إلـى بضاعتهم.. لا يملّون الصراخ ولا تمتلئ جيوبهم بما يفرح حناجرهم.

في الجهة المقابلة من الشـارع ترتفع عمارة شاهقة.. الداخلون فيها غرباء والخارجون منها أغرب.. يكتفي كل من في الشـارع بالتحديق في نوافذها إذا ما أحسوا بحركة الستائر فيها.

بالقرب من سـام يفـرش أحدهم صحـف اليوم التي تنقل نشـرات الأمـس بعناوين متنوعة.. ويصيح البائع: «أخبار اليوم.. أخبار اليوم.. جديد اليوم».

يسـوّي سام نظارته الشمسـية وهو يهمهم في نفسه: «أخبار اليوم! وهي ليسـت أكثر من أخبار الأمس.. ولا تقـول جديداً عما يمكن فعله في الغد!».

السـيارات التي تمر أمام سـام تحمل بشراً بصيغ متعددة.. وبوجوه متنوعـة.. سـيارات يظهر مَن بداخلها وهم في حال قلق واسـتعجال.. آخـرون يبدو عليهم الإرهاق وينظـرون بخفة أمامهم كما لو أنهم على موعد مع غنيمة تنقذهم.. غيرهم يبدو عليهم النوم.. وكأنما اقتيدوا جبراً إلى الشـارع.. بينما يمرّ أناس على سيارات فارهة بوجوه منتفخة كما لـو أنهم خرجوا يقودون سـياراتهم لأداء واجب إثارة حقد وحسـد من دونهم وحسـب.. ليس بعيداً منها سـيارات أخرى تحمل عمالاً بوجوه هزيلة، لكنها باسمة رغم كل شيء.

سـيارة الإسـعاف التي تحاول أن تجد لها ممراً سريعاً للعبور بين السـيارات المتراكمة؛ يبدو أن المريض الذي تقلّه مبتسـم للزحام هنا.. ولا يرغب في الوصول سريعاً إلى المستشفى!

قائد سـيارة الأجرة يقف فجأة بشـكل عرضـي.. يعلو الصياح من داخلها بين السائق والراكب.. ينتهي بنزول الراكب حانقاً يكيل اللعنات، بينما يكتفي السائق بدفعة قوية للسيارة تصطك معها عجلاتها بالأرض، فتحدث عواءً شديداً وهي تنطلق للبحث عن راكب جديد.

في الرصيف الواقـع بين الجادتين يقف أطفال بعضهم يحمل علب المحارم الورقية، والبعض يحمل معدات بسـيطة وهدايا ومسـتلزمات للسيارات.. سـرعان ما يهرول هؤلاء حين يلمحون سيارة أنيقة يمكن أن يَمنّ عليهم راكبوها بشـراء شيء ما مما تهالك في أيديهم، وأرهقته الشمس.

الواقفـون في انتظار وسـائل نقلهم أو مواعيدهـم كُثر.. بعضـهم لا يكفّ عن النظر في سـاعة يـده.. والبعض مشـغول بهاتفه المحمول، والبعض يبدو متأففاً من كل شيء، وآخرون لا يلقون بالاً لشيء.

امرأة مسنة تحاول قطع الشارع سيراً.. توقّف لها البعض كي تمر، أحدهـم يطلق منبه السـيارة يحذّرها من المرور قبله، وسـيارة تحمل ثلاثة شبان يجيلون النظر فيها ويتهامسون بضحكات عالية.

كثيـرة هي السـيارات التي تمر في الشـارع وتعلـو منها أصوات المسجل أو الراديو بالقرآن أو الموسيقى الصاخبة.

يصل «الباص» الذي سـيقلّ سام إلى مقر عمله أخيراً.. يصعد سام

ولا يجد مقعداً للجلوس.. يبدأ الباص بالتحرك من جديد، وسام يواصل نظره من نافذة الباص الخلفية إلى الشارع الذي صعد منه وهو مستمرٌ في صخبه.

* * *

وشاية الليلك

تكوّر وجه السماء، وإذا بالهواء يصطخب، انتفضت الغيوم القاتمة فانهمرت حبات الماء تغسل الأرض الصلبة بعد قيظ كظيم.

هكذا يهرع الناس إلى ظِلالهم، يرتعشون تحت أسقف مهترئة أو تشبه السقوف، تتلقف الماء نيابة عنهم وهم الظامئون إليه.

لم يزل الرجل العجوز المارّ في الطريق بين المطر يخطو بصبر تحت رعش المطر الشديد، كان قد خلع رداءه الأعلى المهترئ وغطى به رأس حماره وعنقه، وظل هو محتفياً بكل هذا الانهمار يغرق جسده، كما لو كان حماماً دافئاً في يوم متجمد.

يقبع جرو صغير في الخارج أمام المستظلين تحت المطر المصبوب، وقد تهدّلت أذناه من كثرة البلل، بينما اختفت بقية حيواناتٍ

في دهاليز كثيرة أو تحت العربات والمعدات القديمة، واسترخى السكان في منازلهم في انتظار توقف السماء عن مزنها.

أيتها الأجواء المترعة بالعطر، الناضحة بالجمال تهللي بقادم يُرعش هذا القلب، يمجّ نبضه ويستبيح خفقه المتكلس.. هكذا كانت تهمس في نفسها تيماء وهي تزيح الستارة المعتمة عن النافذة الكبيرة التي تمتلئ شرفتها بأزهار الليلك وأنواع أخرى من الظليّات، لتشهد نقر المطر الرحيم على سطوح الرخام في فناء منزلها الواسع.

قفز شاب نحيل إلى شاحنة صغيرة امتلأ صندوقها بعلب الكرتون وبعض الأثاث أثناء مرورها، هارباً من المطر، ورغبته أن تبعده عن وسط المدينة قدر الممكن؛ فهو قادم من قرية فقيرة للبحث عن عمل ما هنا، لكنه كثيراً ما يعود خالي الوفاض.

توقفت الشاحنة أمام بوابة كبيرة، أدرك نوّار من خفوت محركها أن هذا مقرها الأخير، همّ بالقفز فإذا به يقع داخل فناء كبير توسطه قصر فخم.. سرعان ما تحلق عليه الحرس ينهرونه كيف تسلل إلى هنا.. وفي لحظة دفعه أحدهم بقوة إلى الخارج.

كانت تيماء ترقب المشهد بعينيها، لكن تفكيرها يُحلّق في فضاء مختلف، لمحة من بعيد لوجه جميل في إحدى النوافذ كانت حصيلة نوّار وهو يُلقى في الشارع العام تتبعه زمجرات الرعد.

خيّم الظلام على القرية المعزولة حتى من الكهرباء، رغم أنها لا تبعد عن المدينة سوى بضعة كيلومترات، ومن جهة ضاحيتها الشرقية التي تعجّ بالقصور والفلل الفخمة، ولا يسكنها سوى المترفين، مسؤولين وأصحاب نفوذ أو تجاراً كبار.

في الصباح.. لم يشأ نوّار أن يغادر قريته البائسة، فعلى مدى أسبوع كامـل وهـو يرحل إلى المدينة سـيراً على الأقدام ويعود في المسـاء، ولا يحظـى بعمل أو يحصد أي مـال، قرر اليوم أن يخرج إلى الوادي المجاور الذي لم يعد يملكه أحد في القرية، سوى أنهم أصبحوا عاملين فيه بالزراعة والسـقيا، وقد كان من أملاك آبائهم، فسـطت عليه الفئة الجديدة التي تقطن الضاحية الشرقية.

سيارة فارهة تغرق في الوحل بالقرب من إحدى المزارع الصغيرة أمام ناظر نوّار وأصدقائه القابعين تحت شجرة كبيرة بالقرب، لم يبالوا بذلك، وكما أنهم ينتقمون بالتشـفي من أهل الرخاء الذين سـطوا على أملاكهم، وسـدوا عنهم حتى الأفق بأسوارهم العالية حول مساكنهم في الضاحية.

لم تتمكن السـيارة العالقة من النفاذ، ولمّا لاحظ نوار أن من يقودها يبدو شـاباً صغيراً قرر المسـاعدة هو وأصدقاؤه، كانت السـيارة التي أخرجوهـا من الوحل يقودها فتىً وبجواره شـابة جميلة، لوهلة شـعر نـوّار بأنه قد رأى هذا الوجه من قبل، رافقهم وقد تعلق بباب السـيارة الجانبـي من الخارج وعيناه لا تفارقان الأميرة الصغيرة، وهو يرشـد الفتى لمسـالك آمنة يمكن أن تمر فيها السـيارة بسـلام بعد ليلة ماطرة أغرقت الوادي بالمياه.

أمسك نوّار بمقص تشذيب النباتات والأزهار، عليه أن يباشر الآن العنايـة بها في هذا القصر الكبيـر، هذه هي المرة الأولى التي يمارس فيها نوّار عمل البستاني، فهو لم يجد عملاً منذ أشهر طويلة، وقرر أن يدّعي أنه يجيد أي عمل غريب يسمع طلباً عليه.

حسناً يبدو أن هذا المكان قد وصلتُ إليه من قبل.. هذا ما تبادر إلى ذهـن نوّار وهو يدلف إلى بهو القصر الكبيـر، عند النافذة الأولى أخذ نـوار يتأمل الأصص التـي تقتني الليلك وأنواعاً كثيـرة من الأزهار، لـم يكن يعـرف ما يصنع لها سـوى أنه أخذ يناغي أوراقها ويسـتمتع بعطرها، وحين التفّت عيناه خلسـة إلى داخل الغرفة الأنيقة لمح جسداً أنيقاً ملقىً على السرير كما لو أن الملائكة تحرس ارتخاءه.

فـرك بيده أوراق الليلـك وإذا بالفتاة تقف بطول النافذة ترقبه، رآها فارتبك وسقط من يده الأصيص.. ابتسمت له، ووقف مندهشاً... أنتِ؟!! رأيتكِ في مكان ما؟

أدرك أنها ذات الفتاة التي لمحها في نفس النافذة حين طرده حراس البيـت يوم أن تعلّق بالشـاحنة.. لا بل هي ذاتها من كانت في السـيارة العالقة بالوادي منذ أشهر.

سـاعدته تيمـاء في عنايـة الزهر، بـدا أنه لا يعرف كيـف يعتني بالأزهار، المؤكد أنه لم يشاهدها من قبل.

شـكرته تيماء وأعطته مالاً رفض أخذه بشدة، وانطلق مسرعاً إلى قريته.

حين ثـار نقاش بين أصدقائه، وهم يصبـون جام غضبهم وحقدهم على سكان الضاحية الشرقية، بدا نوّار هذه المرة أقل سخطاً منهم، قال لهم صحيح أن سـادة هذه المساكن ممن أَثروا بطرق لا نعلمها، هم من يعبثون بمقدراتنا ويسـتحلون أرزاقنا، لكن في داخل هذه المسـاكن من تمتلـئ قلوبهم بالعطف والإنسـانية والجمال، ولا ذنب لهم سـوى أنهم وجدوا أنفسهم وسط هذا الثراء.

أبدى أصدقاء نوّار استغرابهم من فكرته الجديدة هذه، لكنهم لملموا أنفسهم وانفضّوا إلى منازلهم القديمة.

مـرّ عام علـى نوّار منذ آخر مرة دخل فيها هـذه الضاحية، ها هو الآن يقـف أمـام منزل تيماء. مـا الذي جاء به إلى هنـا؟ لا يعلم.. لكن ذكرى تلك الفتاة قد لمعت بذهنه. وجد نفسه واقفاً على مساحة خضراء تقابل المنزل الكبير فاسـتلقى على عشـبها وهو يبتسم.. علّه يرى تلك الفتاة مرة أخرى؟

انتصب عند رأسـه رجل ضخم، شـديد الملامح، أومأ له بالمغادرة مـن هنا فوراً، إذ لا يحق له الجلوس أمام هذه المنازل ولو كان المكان خالياً ومفتوحاً كهذا.

رفع نوّار حقيبته الفارغة على ظهره وانطلق من مكانه، سـرعان ما صاح به أحدهم من خلفه: هيه.. أنت؟ تعال.

وافق نوّار على رفع أكياس العلب الفارغة وبعض المواد المستهلكة من جوار بوابة المنزل إلى مكان بعيد نظير أجر زهيد.. وهو يهمّ بحمل آخر كيس؛ وصلت سـيارة كانت تسـتقلها تيماء.. نظرا إلى بعضيهما وابتسما.

فـي اليوم التالي كانت تيماء تدور بسـيارتها في الـوادي المجاور لقرية نوّار، لم تكن تبحث إلا عنه.

مرت ساعتان على لقاء تيماء بنوّار، تبادلا فيهما قليلاً من الحديث، والكثيـر مـن النظرات. بعدها عاد كل واحد منهمـا إلى منزله، والنوم آخر شيء يمكن أن يتمنياه الليلة.

تكـررت لقاءات نوّار وتيماء لأيام كثيرة فـي أماكن كانا يختاراها بعناية، بعيداً عن أهليهما ومعارفيهما، وقريباً من الأزهار والشجر.

زاد تعلقهمـا ببعض لدرجـة أنْ قرر نوّار التقـدم لخطبة تيماء من أبيها، وهي ستقوم بإقناعه وإبلاغه بموافقتها، رغم أن نوّار كان وجلاً من هذه المغامرة شـديدة الغرابة وغير المتكافئة، لكنه كان يفكّر بقلبه، أما عقله فلم يرفض هذا التحدي.

اتفقـا على يـوم معين يأتي فيه نـوّار لمقابلة والد تيمـاء وإخوتها، رتبـت تيمـاء الموعد ولم تخبر والدها وإخوتهـا بتفاصيل أكثر من أن شخصاً مهماً يريد التحدث إلى والدها.

توقـف نوّار أمام البوابة الكبيرة للمنـزل وقد اجتهد أن يبدو مختلفاً وأنيقـاً ما أمكنه ذلك، لـم يبدُ نوار غريباً على حـراس المنزل وتيقنوا أنهـم قـد رأوه من قبـل، لكن لم يتمكنـوا من تذكر متـى وكيف حدث ذلـك، سـرعان ما جاءهم بلاغ من الداخل بمرافقـة هذا القادم إلى بهو المنزل.

اسـتغرب الوالد وأبناؤه مـن هذا الزائر الذي لـم يعرفوه من قبل، وأبدوا اهتماماً فاتراً له، قبل أن ينادوا على الحراس بطرده من المنزل دون رجعة بمجرد سـماعهم رغبته في خِطبة تيماء! وكان قد اسـتهل حديثه بتعريفهم أنه من سكان القرية المجاورة.

قرر الأب أن يزوج ابنته بأحد أبناء أصدقائه الأثرياء مقدمة لصفقات تجارية مأمولة سـيعقدانها في المسـتقبل. مازالـت تيماء صغيرة؛ لكن يجـب ألا يسـمح لها بطموح غريـب يندّ عن مسـتواهم الاجتماعي أو موقعهم ومكانتهم بين الناس، وتقاليدهم المفتعلة.

لـم يكن من تيماء سـوى الرفض، لكـن والدها أصرّ بشـدة وحدد بسرعة موعد الزفاف، وبدأت الاستعدادات لذلك على التوّ.

أبلغـت تيمـاء نـوّاراً بأنها لن تتزوج أحداً سـواه، وسـتبذل كل ما بوسعها لإفشال أي زواج تُرغم عليه، وعلى نوار أن ينتظرها.

في يـوم الزفاف كانت تيماء بكامل حزنهـا وانفعالها، فقد رفضت أن ترتدي ملابس الاحتفال، وتحت الضغط الكبير والتهديد الشـنيع من أبيها وإخوتها رضخت، لكنها كانت قد رسمت خطة في رأسها.

قُبيـل أن تُدعى تيماء للخروج إلى قاعـة الاحتفال المكتظة بالناس ومظاهر البذخ للقاء عريسـها وبدء مراسـم الاحتفال؛ طلبت أن تعود سـريعاً إلـى غرفتها لغرض خـاص، ومن نافـذة الغرفـة المزدحمة بالأزهار تمكنت من الفرار إلى خارج البيت. كانت قد طلبت من نوّار أن ينتظرها بسيارة معينة في تلك الليلة في مكان ما حددته له مسبقاً.

حين وصلت تيماء إلى السـيارة وجدت نوّاراً مضرجاً بدمائه، فقد تمت عملية قتله قبل دقائق من الآن!

فمـا إن حُدّد موعد زفاف تيماء حتى قرر أحد إخوتها التخلص من هذا الشـخص الغريـب الذي تجرأ عليهم وعلـى مقامهم، وكلّف حينها مأجوريـن بترقـب نوّار وتتبعه، حتى اسـتطاعوا أن يُجهزوا عليه في تلك الليلة وفي ذلك الموعد!

***

مدّ أزرق

يُهيئ حســن الصيدلاني إنـــاءً أنيقاً وبجواره مقـصّ لامع عُلّقت به أشــرطة حريــر زاهية.. وقد مــلأه بعلب دوائية كثيــرة براقة وبأنواع مختلفة.

اليوم هو الخميس.. وستكون أمامه فرصة جيدة للبيع والربح.

يتواشــج الظلام في المكان فيزحــف الرجال نحو الصيدليات بتعالٍ منكسرٍ.. يدرك حسن مرادهم على الفور.. فيشير للإناء الموضوع في الواجهة لتجنب الحرج بينهم.

فــي الإجازات وأيــام الأعياد والمناســبات لا يكاد حســن يبيع في صيدليته سوى صنف واحد يشبه الدواء.

بجوار الصيدلية يقبع كشــك لبيع الــورد والزهور.. منذ ظهور هذا

الصنف الغريب لم يعد صاحب الكشك يبيع وروداً كثيرة.. سوى في بعض المناسبات، أهمها المناسبات الرسمية من مثل وضع أكاليل الزهور على أضرحة الشهداء والمناضلين والمفقودين!

تتسلل إعلانات هذا العقار الطبي شيئاً فشيئاً إلى الواجهات العامة لتفصح عن نفسها باعتباره السعادة الكاملة. يبتسم أحمد وهو يرمق هذا الإعلان من سيارته في طريق عودته للبيت.

يعود أحمد من وظيفته مرهقاً.. يستلقي على الأريكة، فجأة يرن هاتفه:

– أحمد.. تعبت يا أخي.

– ما بك؟

– سوء تفاهم كبير مع زوجتي.. يكاد رأسي ينفجر.. أود لو نخرج سوياً إلى أي مكان لأزيل توتري.

– لا.. انتظرني في البيت.. سآتيك بحل مشكلتك.

يتصدر أحمد لحلّ مشكلات أصدقائه ومن يعرف من الناس، وحتى الغرباء أحياناً في الشارع؛ سواء كانت اجتماعية أو حتى مالية أو صحية، وبحل واحد.

جيبه الواسع لا يخلو بتاتاً من هذه العلب.. يقدمها هدايا بمناسبة ومن دون مناسبة.. وجملته التي لا تتغير حين تقديم الهدية:

«خذ.. كن رجلاً.. وتغلب على كل مشكلاتك».

حين يسمع أحدهم يشكو من عدم قدرته على ترتيب شؤون المنزل وتدبير كامل مصروفاته وحاجياته.. يبادره بالحل الأمثل لهذا التخبط!

أو يجد من يشكو من صخب أبنائه في البيت، وإزعاجهم الزائد عن حدّه، وتمردهم عن القيام بواجباتهم المدرسية ودنو مستواهم التعليمي؛ يدس في جيبه شريطاً ما:

– ستتخلص من كل هذا الإزعاج!

صديقــه المتذبذب الذي لقيــه ذات مرة متلكئاً علـــى مكتبه، بعد أن عرف ســبب خوفه وقلقه، وأنه ناجم عن تهديد له من موظفين آخرين إذا لــم يمــرر لهم معاملة مــا خطيرة بطريقة مخالفة؛ فســيحل به ما لا تحمد عقباه..

قدّم له عادل ما ينبغي لكي يثبت شجاعته في البيت!

– الرجل بفحولته.. ليس برومانسـيته الزائدة.. قال ذلك أحمد معنفاً شاباً حديث عهد بالزواج، وهو يُرهق نفسه بشراء بعض الهدايا لزوجته التي خرجت للتوّ من المستشفى بعد فترة علاجية.

يعتقد أحمد أن هذه شخصية الرجل المثلى.. وليست بطريقة تفكيره ولا بتنميــة وعيه وزيادة ثقافته، أو حضوره بين الناس وحســن تعامله مع المرأة، أو حتى اكتســابه أســاليب جديدة في فن التعامل العام.. كل هذه الأمور يعتبرها أحمد قضايا ثانوية أو هامشية.

ينصــح أحمــد كل أصدقائه بعدم الإنفــاق على الكتب، أو وســائل المعرفــة، أو برامج تطوير الذات، أو حتى شــراء العطور.. ويدعوهم إلى توفير ذلك لشراء هذه الحبة.

حتى عندما جلس إلى قريب له وهو يقرأ في كتاب عن فنون الحياة الزوجية والسعادة فيها.. دفع بالكتاب بعيداً من بين يدي قريبه، وهزّ في يده شريطاً وهو يقول: هذا هو الفن!

في الاجتماعات المهمة لمؤسسته المرموقة، والمعدّة لمناقشة قضايا شائكة؛ الجهل في المجتمع، غياب المشهد الثقافي، قلة الإنتاج الإبداعي، ندرة التداول المعرفي، وضآلة فرص الابتكار وانعدام سبل التطور والنهوض، في ظل انفجار سكاني بلا تخطيط آمن وواعٍ بالمستقبل.... كان أحمد يدسّ للمجتمعين هدايا توضع بجوار أوراق العمل!

أحمد في بيته لا يتحدث مع زوجته كثيراً، ولا يرغب حتى في سماع صوتها.. ذات يوم عاد إلى بيته.. لم يجدها.. وجد أنها قد كتبت له على المرآة في غرفة النوم.. «مللت الحياة الميتة معك»!

* * *

Like

لا يتوقف عن غرامه بها، ترافقه في كل مكان يذهب إليه، لا يكفّ عن مناغاتها، ولا يملّ من البوح لها.

صارت تمثل له كل شيء في حياته.

بتفقدها يبدأ يومه، ولا ينتهي إلا بالقرب منها.

العلاقة الحميمة بينهما رسمت له معالم أخرى للحياة، وأعادت تشكيل شخصيته بطريقة مختلفة، أغنته عن أي علاقات أخرى.

وربما أسهمت في إخراجه من عزلته المعروفة عمّا حوله، لكن إلى عزلتها!

تظلّ بين يديه طوال اليوم، يبتسم تارة، ويقطب حاجبيه تارة أخرى،

تنشرح أساريره مرة، ويطرق برأسه حائراً مرة أخرى.. كل ذلك وهو يمعن النظر فيها.

قد تعلو ضحكته فجأة، وتراه يرد ملهوفاً بسرعة، أو يعض على أنامله حتى تجلو له الفكرة، ويجد رداً مناسباً يبثه خلالها.

صارت هي من تحدد مواعيده على الواقع، وتفرض أجندات مناسباته..

الشاب الذي يتلقى تعليمه الجامعي في المدينة الصغيرة، صار يطوف العالم من خلال هذه الأجهزة، وبفضلها عبرت علاقاته الحدود المصطنعة.

كل شيء يحدث؛ بات يعرفه على التو عبرها، لا يكتفي بذلك، بل يشارك في التعليق عليها ويصنع رأياً حولها.

لقد منحته هذه الأجهزة عالماً آخر، وجد فيه ذاته الهاربة من جمود الحياة ورتابتها وبطئها على الواقع، عالماً أسرع وأجد، ليس واقعياً، لكنه ليس وهمياً!

وجد، كما وجد غيره من أقرانه ومن التحق بهم، في هذه التواصليات التفافاً على عالم معدم تحكمه الرسميات والخطوط المعلّمة، فلم يعد يُقدم لهم تلفزيونه الرسمي كل ما يجب ألا يعرفوه.

لم يعد أحد منهم ينتظر نشرة الأخبار الرئيسية، أو الصحيفة الرسمية في اليوم التالي، أو حتى جوانب المعرفة الأخرى التي تمرّ عبر دهاليز الدولة وقد تصل أو لا تصل، فقد أزاحت هذه الأجهزة كل السواتر السميكة عن الحياة وما وراءها من جمال أو قبح، وباتت تصنع الرأي وربما الحدث!

هكذا لم تعد الحياة عبر هذه الأجهزة، حياة بديلة أو هامشــاً للتنفيس والترويح والهروب، لقد بات العالم كله يهرب إليها الآن أو يلتحق بها، من سياســييه إلى أكدح النــاس فيه، أفراداً ومؤسســات، وحتى معامل تكرير القمامة.

ما كانت تحجبه القواعد والعادات والأعراف والمراسـيم، تكشــفه «اللينكات» اليوم، وبلا أدنى حرج.

على الواقع يدرك الشاب أنه لم يعد له علاقة به سوى لاستمداد طاقة يبددها في فضاء لا حدود له، صداقاته كلها في الفضاء، ثقافته وأفكاره بات يتلقاها من هذه السماوات، ساعته التي ترسو على معصمه لم تعد تحدد له ســوى منطقة زمنية واحدة، هناك شساعة في المكان لا تحدّها إلا قدرته على الاتصال.

حتى أقرب الأقربين إليه إن أراد منه شــيئاً وهو على بعد خطوات منه، جعل من هذا العالم وسيطاً بينهما.

ربما كانت مزحة سمعها من أحد أساتذته في الجامعة، أن هذا العالم الذي يعيشه جيل اليوم هو عالم افتراضي، لقد بات متأكداً الآن أن هذا الافتراضي هو الذي يحدد معالم الواقعي اليوم، وقد حصل!

في كل يوم يطوف هذا الشاب العالم، يقيم علاقات سريعة بالآخرين؛ ربما تنفض أســرع، يُكوّن فكرة عن شـــيء مــا؛ تنقضها أخرى، يبني رؤية معينة؛ تهدمها ثانية، هكذا في تفاعل وتداخل سريع للأشياء.

في محيطه السكني، لا يعرف أحداً، لا يُسلّم على أحدٍ وليس بحاجة إلــى محادثة أحــد، وحدها حواســيبه وأجهزته التي ترتعــش بين يديه

كل حين، كان واقفاً أو جالساً أو ماراً بالطريق، من تستنفد طاقته الاجتماعية.

فاخر بين زملائه ذات يوم أنه يقرأ طوال اليوم، حين خرجوا للتوّ من ندوة جامعية حول تكوين ثقافة الإنسان، وأنه لا يملّ من القراءة والاطلاع، يقرأ في كل شيء وعن أي شيء.. هو بذلك يتفوق بمعدل عالٍ في القراءة خلال اليوم.

لكنه في قرارة نفسه لم يكن مقتنعاً بأن كل هذه الساعات الطويلة التي يقضيها بين السطور الإلكترونية قد أعطته ما يمكن أن يعطيه له كتاب واحد كامل يقرؤه في ساعات قليلة من الأوراق أو عبر هذه الوسائط، أو هكذا استشعر أن ذلك لا يصنع له فكراً عميقاً، أو يبني له تراكماً معرفياً متماسكاً. لم يدرك السبب الخفي لهذه العلاقة المتناقضة، لكنه شعر بأنه يمارس ثقافة آنية، تشبه تناول الوجبات السريعة التي يتجه الآن هو وزملاؤه لتناول إحداها في المطاعم السريعة.

بين يدي جدّه الكبير يتربع منصتاً بجسده له، وهو يتحدث عن تقاليد الزمن الماضي، وجماليات الحياة البسيطة فيه، والصفاء الذي كان يحيط حياتهم وانعدام التوتر والقلق، وعن مغامراتهم العديدة، وهو يشير إلى أماكن بعينها من على ربوة في القرية التي يزورها الشاب الآن، حين قرأ على حاسوبه جملة «العالم قرية صغيرة»، استمر الجد في حديثه، وضغط الشاب متفاعلاً مع العبارة: «like».

***

عقاب الضمير..

«كل ما يتطلبه الطغيان للوجود هو بقاء ذوي الضمير الحي صامتين»

توماس جفرسون

يتسارع عالم مجنون، كل شيء فيه يتطور كل لحظة، التقدم المهول في العالم المادي يُسهل حياة الناس، يُراعي دقائق خفية، وتفاصيل متناهية يمكنها زيادة راحة الناس وتوفير الجهد والوقت عليهم، كل شيء يتحول إلى الآلة، كل شيء يبدو أكثر دقة ومرونة وخدمة، وحده الإنسان المستهلك لا يطور من فكره وتعامله مع تجدد الحياة بشكل كاف سوى إلى الأسوأ.

عادل.. الموظف الصغير في المؤسسة العملاقة، أكثر العاملين انضباطاً وإنجازاً هنا منذ عشرين عاماً، يتغير الناس هنا ولا يتغير، يرحلون، يصعدون، ينتقلون، ولا يغادر مكتبه المهترئ منذ أول يوم عُيّن فيه.

تخرج عادل في الجامعة بتقدير عالٍ، كان متميزاً بين أقرانه منذ

صغره، والده كان فاضلاً أحسن تربيته، لذا تفوق في دراسته رغم شظف عيشه وقلة دخل أبيه العامل في أشغال حرة.

أُرهق عادل كثيراً وهو يبحث عن وظيفة ملائمة، يمكنها أن تستر حالهم البائس بعد وفاة أبيه الذي لم يترك لهم سوى ديونٍ أثقلت كاهله في الحياة وأثقلتهم من بعده، ومسكن رديء لم يتمكنوا من سداد أجرته منذ عام كامل.

أخيراً ترفّق أحد المسؤولين بعادل وقرر توظيفه في الأرشيف، رغم أن من كانوا أقل منه تقديراً حصلوا على وظائف مرموقة لأسبابٍ لا علاقة لها بتقديراتهم العلمية أو خبراتهم المهنية.

عمل عادل بتفانٍ وإتقانٍ يمليه عليه ضميره، استطاع أن يكسب ثقة الناس في المؤسسة كلها، وكان ينال كل عام لقب الموظف المثالي، إلا أنه رغم ذلك لم يكن يتقدم درجة واحدة في السلم الوظيفي، ربما لأن إخلاصه ومثاليته لا تكفي لأجل ذلك.

تعاقب على هذه المؤسسة كثير من المسؤولين، ولم يكن عادل من أولئك المتملقين إلى رؤسائهم، منذ الدقيقة الأولى لبدء الدوام الوظيفي تجده متكوماً على الأوراق والملفات، أما المغادرة فمن النادر مغادرته في الوقت المحدد لانتهاء العمل، إذ يكون آخر المغادرين بعد مرور وقت طويل من انتهاء الدوام، ربما لأنه لا يحبّ أن يبقي عملاً مستحقاً من يوم إلى يوم آخر.

كان قانعاً براتبه الشحيح، يُقيم منه حياة بسيطة له، لكن رصيده من الحب كان كبيراً بين الناس، ليس في مؤسسته، وحتى في حي سكنه،

حتـــى صار بيـــن الناس مثلاً يحتذى، وقدوة يشـــير النــاس إليه لأمانته ونزاهته، وخلقه الحسن مع الجميع.

في المؤسســـة كان عــادل الموظف الخبير بكل شــؤونها، العارف بكل اختصاصاتها، اجتمعت إليه الخبرة، فلا أحد يستغني عن مشورته وأخذ رأيه، وكان يرفض أي مقابل لذلك ســوى حقّه المعلوم في كشف المرتبات.

فـــي يوم مـــن أيام عمله المرهق طلب إليه أحـــد المديرين أن ينتظر بعد انتهاء الدوام بساعة ويأتي إليه لأمر مهم، انتظر عادل حتى الوقت المحدد ودخل إلى هذا المدير.

ســرعان ما خرج عادل من المكتب غاضبــاً، والوعيد ينهال عليه مـــن خلفه، والتهديد بكل أمر عظيـــم. كان المدير قد طلب من عادل أن يُســـلم له بعض الملفات المهمة التي تدين شـــخصيات معينة بمخالفات كبيـــرة، ويزيـــل أي معلومات عنها في القوائـــم، ولما رفض عادل لأن هـــذا الإجراء مخالف بموجب اللوائـــح المعمول بها، أغلظ عليه المدير وشتمه بأقذع الشتائم فانسحب عادل من المكتب.

بعـــد أيام جـــاءت مجموعة أخرى مـــن الموظفيـــن المرموقين إلى عادل، وأخبروه أن عليه تســـليم هذه الملفات، وسينال مبلغاً مالياً كبيراً كفيـــلاً بأن يحل كل مشـــاكل عادل المادية، وينقله إلـــى حياة مترفة في ظرف أيام.

تكرر رفض عادل القاطع لهذا الفعل رغم كل الإغراءات، أخبروه في الســـرّ أنه لن يخســـر شـــيئاً بتســـليمه لملفات قديمة لن ينتبه لأمرها

أحـد، لكنهـم وجدوا تصلباً من عادل أجبرهم علــى الخروج من مكتبه مطرودين.

في الليل تفاجأ بزيارة مســؤول مهمّ في المؤسســة إلى بيته، كانت الملفات ذاتها هي ســبب الزيارة الغريبة والنادرة، أخبره المسؤول بأن تسليمه لهذه الملفات خدمة جليلة للوطن، وكل ما عليه أن يتخلى عنها، ويحرر محضراً بإتلافها ضمن أوراق قديمة عادةً ما تُتلف ولن يســأل أحد عن ذلك.

أكـد المسـؤول لعادل أنه سـيتم ترقيته في الحــال إلى منصب مهم في المؤسســة، لم يكن يحلم به بعد كل هذه الســنين الطويلة من الخدمة في المؤسســة، والقرار جاهز منذ صباح الغد، إضافة إلى أن العرض المالي قائم وسيزيد المبلغ الكبير بحسب طلبه.

دون أن يســمح عادل للمســؤول بمزيدٍ من الحديث؛ أشار بإصبعه إلى باب الخروج!

مرّت أيام وعادل بذات الأداء في مكتبه، حين رنّ هاتفه في منتصف الدوام يخبره أحدهم بأن عليه أن يصعد إلى أحد المكاتب لاستلام أوراق معينة. صعد عادل وفي طريقه للمكتب ســمع ما يشــبه الاســتغاثة من إحدى الغرف النائية في المؤسســـة، اقترب ودخل المكان فإذا بموظفة وحيدة أغلقت الباب دونه سريعاً، وإذا بها تصرخ بغرض النجدة وسط ذهــول عادل الذي تســمّر في مكانه ولم يعرف مـــا الذي يحدث أمامه، وبســرعة النار في الهشــيم تجمع الموظفون والمسؤولون أمام الغرفة ليشــاهدوا عادل يقف بجوار موظفة وقد استلقت على الأرض بملابس مفتوحة، وأخذت تشكو بصوت عال من محاولته اغتصابها، وبالسرعة

ذاتها حضرت الشرطة واقتادت عادل إلى الخارج وهو في حالة ذهول مطبق، والناس في اندهاش يقلبون كفاً بكفّ، كيف لعادل هذا الموظف الأمين الذي عهدناه ملتزماً يقوم بهذا المنكر، داخل المؤسسة، وبإحدى الموظفات؟

وهكذا شاعت الأحاديث ولم يكن من حديث آخر هنا سوى عادل وما وجدوه عليه، وبدأت التحليلات حتى من أقرب الموظفين إليه، كيف لعادل أن يتجرأ؟ ربما ليست المرة الأولى، وبعضهم يقول إنه يعاني من أزمة نفسية، وآخر إنه لاحظ ميولاً لعادل نحو هذه الموظفة في أوقات سابقة، وآخرون بدؤوا يسترجعون كل دقيقة خرج فيها من مكتبه، ويضعون التخمينات الكثيرة أين غاب خلالها، وغيرهم بدأ يستغرب سرّ التزامه الشديد بالدوام وتأخره الغالب في الانصراف، بل حتى المقربون منه بدؤوا يشككون في سيرته، وأنه كان يتخفى وراء طيبته بأعماله الشريرة!

لم تكن المؤسسة وحدها التي انشغلت بحكاية عادل، بل الحي الذي يسكنه، كله صار حديثاً واحداً عن عادل الذي خُدعوا به وبأخلاقه طوال هذه السنين!

أصدرت المؤسسة قراراً عاجلاً بفصل عادل من عمله لأنه أساء إلى الوظيفة العامة، ومارس سلوكاً مشيناً يقضي بإبعاده عن العمل فوراً.

أُفرج عن عادل بكفالة، وعاد إلى بيته، في الطريق كان الناس ينظرون إليه باحتقار وسخط، وربما تمتموا بكثير من الشتائم وأشاحوا بوجوههم عنه.

تسـرّب ألمٌ شـديدٌ إلى عـادل، لم يعلم ما الذي حلّ بـه، ولم يفهم ما يدور حوله، كل الناس تخلّوا عنه، وانفضوا من حوله، حتى البائع الذي يملك متجراً صغيراً مجاوراً لمسكنه انتقل فوراً من جواره.

خـرج عادل ذات يوم إلى الحي، لاحـظ أن كل الناس يفرون منه، حتى أعزّ أصدقائه، حاول أن يوضح موقفه لكن دون جدوى. عاد إلى بيته والحزن يقتله كل لحظة.

ظلّ على هذه الحال شـهوراً طويلـة، حتى تمت تبرئته من التهمة، واتضح أن الحادثة كانت كيدية ولا أدلة عليها.

عـاد عـادل إلى بيته فرحـاً، أخيراً تمـت تبرئة سـاحته، ورُدّ إليه اعتبـاره، كان متيقنـاً من عدل الله وإنصافه، من الآن سـيخرج للناس كلهم فقد انجلت الحقيقة، وسيعيد الجميع ثقتهم به التي لم يخنها قط .

خـرج عادل وبيده قـرار رد الاعتبـار، مرّ علـى أصدقائه، على معارفه، على الناس من حوله، كانوا بذات الإعراض، واستمر هروبهم منه، صاح فيهم:

- أنا بريء، كان فخاً نُصب لي، ها قد تمت براءتي بحكم المحكمة، هناك من انتقم مني،...... لم يسمعه أحد.

ذهب عادل إلى المؤسسـة، بأمل أن يعـود لعمله، ويعود لصورته الحقيقيـة التـي يعرفها الموظفون عنه، بعد أن خدشـها مـن أرادوا له السوء.

لم يكن موقف الموظفين هنا بأحسن منه في حيّه، كلهم تهربوا منه، كلهم تحاشـوا حتـى النظر إليه، كلما دخل مكتبـاً خرج منه الموظفون

أو انـهمكـوا في أعمالـهم، متـعمدين تـجاهله التام، أُبلغ عبر أحد الحراس بــأن وظيفته انتهت هنـــا ولا يمكنه العودة ثانية، لوهلة أمســك بأوراق المحكمة التي كانت بين يديه بحسرة، قذفها في الهواء، وخرج من باب المؤسسة.

لم يعد إلى البيت منذ ذلك اليوم، ولم يعلم أحدٌ أين ذهب عادل!

* * *

شيطانة الورد

بعينيـن زرقاويـن، وأنف نحيل ممشـوق، وخديـن أحمرين، وفم كالخاتم، تنحدر غيداء من أصول بعيدة عن هذه البلدة، يُقال إن أسرتها تنماز بشدة الجمال، وكثرة الترحال لأسباب غير معروفة.

مـا إن تلمع كالبلور في طرق البلدة؛ حتـى تتلاقفها الأعين التي لا يمكن أن تفوّت مثل هذه اللوحة المتحركة بجوار الطبيعة الخلابة هنا.

تغـدو كل صبـاح إلى مكتب البريد الواقع فـي الناحية الأخرى من البلـدة، ترافقها شقشـقات العصافير، ووجوه مبتسـمة تنبت بجوار كل بيـت، أو تطلّ مـن على النوافذ المفتوحة علـى طريقها الضيق باتجاه عملها.

يزدحم البريد بالمراجعين حين حضورها رغم ندرة حركته البريدية إرسـالاً أو اسـتقبالاً، بعضهم يجب أن يدخل للسؤال كل يوم عن طرد

ربما يكون قد وصله، في الحقيقة لم يُرسل له أحد أي طرد!

والبعض يحبّذ الوقوف أمام مدخل البريد من الجهة اليمنى، حيث يمكنه رؤية الغيداء ولو للحظات.

العامل في محطة السكك يجب أن يمر بالمكتب للسؤال عن صديقه العامل هنا، حتى لو لم ينظر في وجهه، المهم أن ينظر في وجه غيداء، ويطلق تحياته لصديقه الذي قد لا يكون موجوداً حينها، وينطلق مسروراً في صباحه.

صاحب المقهى المجاور خصّص طاولة خارج المقهى تطل على صالة البريد، الطاولة يجلس إليها رجل أعمال مهمّ لم يكن يتناول قهوته هنا إلا حين علم بأمر غيداء.

قرر الشاب الوسيم المتخرج للتوّ في إحدى الكليات العسكرية الصارمة أن يتحدث إلى غيداء، ويحظى بابتسامتها الناعمة، أغلق المظروف وقد دسّ فيه ورقة خالية مستعجلة سيبعث بها لصديقه الذي لا يعرف عنوانه بالضبط، مدّت أناملها الرقيقة وتناولت المظروف الذي لم تُكتب عليه أية بيانات، أشارت بإصبعها الأنيقة إلى مكان كتابة العنوان، لم ينتبه الشاب فقد كانت عيناه تسرحان في تفاصيل وجهها الفاتن، وتدقّق في الحلة التي ترتديها، هل إن الثياب تُصنع لها وحدها، أم إنها تَصنع لكل من ترتدي جمالاً معيناً.

أخذ المظروف من على الرفّ وغادر منتشياً يسبقه فرحه، ولم يعد.

تبتسم غيداء كل حين لكل من تراه، وكأنها دمية ضاحكة على

الدوام، ولا يمكنها فعل غير ذلك. يتفاءل كثيرون برؤيتها، ينظرون في مشيتها خفّة وبريقاً لا يرونه في أحد.

كل من حولها هنا حفيّون بها، يُطربهم وجودها بينهم، ولجوارها نكهة الود والحنان.

الصبية الذين تقابلهم بحنو ينتثرون حولها كالفراش، لا تسمع إلا قهقهاتهم، وترى فيهم سروراً لذيذاً.

والمسنّ الذي أنهكه الدهر، حاجباه ينفرجان وقد أزاحا كومة التجاعيد من وجهه حين يلتفت إليها، يكتفي بالابتسام المشوب باللطف، ولا تفتر ابتسامته إلا بعد وقت طويل.

لم يحدث أن غضبت غيداء أو عبست، أو حتى علا صوتها أمام أحد، الهمس لغتها التي تأكل نصف حروفها الابتسامة، لكأنها معجونة من فرحة، قوامها الرفق، وطباعها الوداعة.

يُخيل للناس أن غيداء تعيش في بستان ليس به من كدر حياتهم ولا جمودها أو همومها شيء..

ما إن تعود غيداء إلى منزلها الغريب، حتى تخرج في المساء إلى الحدائق المجاورة، يداعبها النسيم، وتحتفي بها الزهور والشجر، وترسمها صفحة الماء دلالاً.

لا أحد يعلم عن تفاصيل حياتها أكثر من ذلك، ولا يعرف أيّ من أفراد أسرتها، سوى شعورهم بأنها سعادة مضافة لهذه البلدة، تُفرح الناس بحضورها، ويبعث وجودها، أو حتى مجرد التفكير فيها، على البهجة والسعادة النقية في نفوسهم!

فهـــرس



جائزة الشارقة للإبداع العربي

الإصدار الأول | الدورة 17 | 2013

الفائز الثالث في مجال القصة

فارس توفيق البيل

اليمن، ١٩٧٨

- ماجستير دراسات أدبية - كلية دار العلوم/ جامعة القاهرة.
- مسؤول أنشطة طلابية وشبابية عديدة.
- ناشط ثقافي، ومحكم في عدد من فعاليات إبداعية.

